

## الإنسان في فكر مالك بن نبي

الأستاذ: يعقوب محمد

جامعة زيان عاشور - الجلفة

### الإنسان وإشكالية الحضارة:

يقودنا الحديث عن الإنسان إلى تاريخ نشأته وبداية تحضره وتطلعه الدائم إلى الأفضل والأمثل و الأرقى بما يناسب الحياة التي يتوق إليها ميسرة ثرية آمنة؛ فما حقيقة الحضارة إذن ؟ هل هي تلك المقابر والطلول البالية؟ أم الحضارة هي هذه العلوم والفنون والمباني الشاهقة والبورصات؟ أم هذا السلوك المتمرد عن الفطرة الذي ردّ الإنسان إلى أسفل سافلين؟ أم هي قيم أخلاقية ذات مرجعية عليا ومنهج حياة لا يستقيم حال الإنسان إلا به؟ هل بمقدرة العقل وحده معرفة كنه الحياة وسر وجود الإنسان ومهمته في الأرض ؟ ما مفهوم الإنسان للحياة ؟ ما الحق؟ ما الباطل؟ ما هي الفضيلة؟ هل بمقدرة العقل البشري وحده تحقيق السعادة الأبدية للبشر في الدنيا والآخرة؟ أم هو بحاجة إلى من أوجده وأمدّه بالمنهج القيم والمستغني بنفسه عن غيره و الذي لا يتغير ولا يتبدل ولا يأتي عليه الفناء، إلى من خلقه وهده ورزقه بعبائه وخيره ونعمه الدائمة؛ أم الحضارة هي الإسلام نفسه ؟ أم هي متضمنة لكل ذلك وغيره؟ بإمكاننا القول أن المفهوم العام للحضارة يتفاوت لدى المفكرين تبعا لمستويات الإدراك الذي تتحكم فيه عوامل و معطيات مجتمعية مستندة إلى خلفيات ثقافية معرفية وعقدية مرتبطة بهذا المجتمع أو ذاك، ويبقى الإنسان في كل الأحوال هو الباني لحضارته باستماتة وإسرار بغض النظر عن مفهومها الشامل و بمختلف صورها، بمنافعها ومفاسدها ،لأن صانعها مخلوق والمخلوق نسبي في أفعاله وأفكاره وأحكامه، فمنجزاته تبقى نسبية لا ترقى إلى مستوى الكمال حتى وإن استند إلى الموجه الأعلى له في السموات العلى عبر الرسل والأنبياء قال الله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ <sup>(1)</sup>. وقال جل جلاله

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>(2)</sup>. لم يخلق عبثاً وهذا الكون لم يخلق عبثاً وعمارة الأرض تعود إلى نشاط البشر كما تفره الآية الكريمة فالإنسان إذن هو صانع الحضارة، وهي أبرز مظهر يمثله نشاط الإنسان عبر مسيرته التاريخية الطويلة وأنموذجاً متقدراً ومتميزاً جعله السيد على ظهر الأرض بلا منازع من دون بقية المخلوقات؛ ولربما احتاجت هذه القضية شيئاً من البيان رغم ما قلناه؛ (لقد غلب على استعمال كلمة الحضارة أن تطلق على الجانب المادي والتنظيمي من الحياة، وليس ذلك بعيداً عن المعنى اللغوي على أي حال، فالحضارة هي فعل أهل الحضر، مقابل البداوة التي هي شأن أهل البادية)<sup>(3)</sup>. ولكنها في المصطلح الإسلامي هي عمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني، فيدخل في ذلك الجوانب المادية والتنظيمية، ويدخل فيها القيم التي يحملها هذا الدين، غير منفصلة هذه عن تلك، تشمل الأمرين الذين فرقت بينهما (الرؤية) أي أنها ثقافة وخصتها بالقيم والأفكار والمعتقدات وسمت culture المعاصرة، فسمت أحدهما:

الآخر:

وخصته بالجانب المادي والتنظيمي... وإذا تفعل ذلك تحدث تفرقة Civilization لا وجود لها في عالم الواقع، فليست هناك عمارة تنظيمية أو مادية غير مرتبطة بقيم معينة في حياة الإنسان متأثرة بها ومؤثرة فيها<sup>(4)</sup>.

وإذا كانت الحضارة مشكلة من عنصرين أساسيين ممثلين في منظومة القيم المتصلة بالجانب المادي والتنظيمي، فإن الفعل الحضاري يبقى أهم نشاط بشري واكب حياة الإنسان منذ الخليقة الأولى له في أبسط مظاهرها، واستمر هذا النشاط في التطور عبر مسيرة حياته، فما كان للإنسان إلا أن يبحث عن السبل الكفيلة لضمان استمرار وجوده بدافع الحاجة إلى تأمين حياته وعزيزة الإسرار على البقاء، فكانت البداية الأولى لقصة تبلور ونمو الحضارة الإنسانية شيئاً فشيئاً؛ عبر التاريخ، و منذ أن بدأ بانتظامه أي الإنسان في شكل مجموعات صغيرة متألّفة باعتباره كائناً اجتماعياً يجنح إلى التجمع لحاجته إلى الألفة والاستئناس والطمأنينة ومن ثم الإحساس بالأمن ليتسنى له مجابهة مصاعب جمة تنغص عليه عيشه وتعرض أمن حياته لمخاطر شتى كمسألة

الجوع و خطر الوحوش وأذى الحر والقر ، واتسعت هذه المجموعات البشرية أكثر فأكثر عبر الزمن مشكلة كيانات منسجمة ومتآلفة تربط بينها عدة وشائج مبنية على فكرة المعتقد والانتماء العرقي

القبلي الذي يميزها عن غيرها، وبانبثاث هذه الكيانات واتساعها أكثر فأكثر تشكلت الشعوب على اختلاف ألسنتها وألوانها و ازداد الإلحاح على توفير المزيد من الحاجيات بمقتضى تطور واتساع الشبكة الاجتماعية لهذه المجتمعات مما أدى ذلك إلى التنافس فيما بينها ليصل الأمر أخيرا إلى الاحتدام والصراع كنتيجة لتعارض المصالح والأفكار بين الأجيال السابقة واللاحقة ، ثم تطور الصراع بتطور الوسائط ليتجاوز المصالح إلى السيادة والريادة والهيمنة والتفوق وفرض المعتقد وإقصاء الطرف الأضعف إلى حد الإبادة؛ إن الصراع الذي دخل فيه الإنسان عبر مسيرة حياته كان أشبه إلى حد ما بصراع الغاب لولا تدخل العناية الإلهية بداية؛ فتحول الصراع ليكون لخير الإنسانية صراعا بين الحق والباطل لذلك استفسر الملائكة ربهم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ...﴾ (5). قال تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (6). واستمر هذا السجال حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن؛ غير أنني أستدرك فأقول أن أغلب الحضارات المادية التي أنشأها إنسان ما قبل الإسلام كانت حضارات عرجاء تميل إلى السلوك الوحشي في كثير من أفعالها لأنها بنيت على معتقدات باطلة فطبع بطابع ظلم لإنسان لأخيه الإنسان، وأبشع

مظاهر تلك الحضارات تقديم القرابين البشرية للهياكل الحجرية وغيرها والاتجار بالبشر وتنظيم فرجة الاقتتال كرها حتى الموت بين مسلوبى الحرية تمتعا بالمظاهر الدموية وتقديم المستضعفين أحياء لتفترسهم الأسود ،وظهر ذلك جليا عند الرومان، ولم تختلف كثيرا الحضارة المادية المعاصرة عن تلك الممارسات السابقة في جانبها الإنساني السلبي، ورغم ما قدمته للإنسانية من خدمات مريحة في جانبها التكنولوجي إلا أنها تشكل تهديدا واضحا على الوجود البشري في ظل تطور وسائط الصراع دفاعا أو هجوما في عصر التكنولوجيا العسكرية النووية والتنافس المقيت في

أغلب أحيانه على حطام الدنيا وحب الهيمنة والسيطرة والتفوق، أما على الصعيد الإيكولوجي فإن الخطر يبدو ماثلاً جلياً ممثلاً في تلوث البيئة ومصادر المياه والاحتباس الحراري وما تبعه من تغير للمناخ وغيره كنتيجة للاستغلال الغير عقلاني لموارد الطاقة، قال الله جل جلاله ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (7).

تفشي أمراض لم تشهدها الإنسانية من قبل كنتيجة لطغيان المادة وتردي القيم الإنسانية في مقابل تراجع القيم الإسلامية الرفيعة الذي كان يمثلها الإسلام واقعا ماثلاً قبل تراجع أهله ، فجنحت طائفة كبيرة من الناس إلى سلوك شاذ غريب ينزل تحت مستوى سلوك البهيمية، وهي - ولا شك - دخيلة عن فطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها.

لقد خضع ولا يزال يخضع الإنسان لقوة عليا أوجدته تتصف بالحب وبالخيرية والكمال والرحمة وترتقي به إلى الأعلى، وتهديه سواء السبيل وتعهده بالخلود في النعيم الأبدي ، و قوى أخرى سفلى تشده و تخلد به إلى الأرض بقصد إيدائه وحرمانه من ذلك النعيم الأبدي الموعود، قال الله جل جلاله: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (8).

### راهن الحال للأمة:

ينبغي أولاً أن نعلم أن أمتنا الإسلامية اليوم تحيي في مرحلة حرجة من مراحل التاريخ، وتعيش في ذات الوقت واقعا مريراً، كما أنها تحيي حياة الذل والهوان والاستكانة، وترضخ لما يملئ عليها من أعوان الكفر والإلحاد من كل أمة، ومن كل جنس ولون، ولا تزال أمتنا تأكل فتات الموائد العالمية، ولا زالت أيضاً هي القصعة المستباحة لكل الأمم من الشرق أو الغرب، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم منذ ألف وأربعمائة وثلاثين سنة في حديث القصعة المشهور (9).

إن هذا التخلف الذي تعيشه الأمة في كل ميادين الحياة جعلها في شبه شلل تام أمام هذا التقدم التكنولوجي السريع، رغم مشاركتها في بنائه وتسارع تطوره بأدمغتها وأموالها وثرواتها، وظاهرة الانحطاط هذه ( ظاهرة مفتوحة فكريا اختلفت صورها من فكر لآخر ) (10).

مما يقتضي معالجته في جوهره الحقيقي كما يراه المفكر مالك بن نبي وغيره وهو الإنسان ذاته.

لكن هل يمكن بناء الإنسان المسلم بعيدا عن العون الإلهي؟ كيف يُبنى هذا الإنسان فكرا وهوية وانتماء؟ كيف نعيد الحياة لهذا الفرد الممسوخ فكريا وسلوكيا ونعيد ترميم شخصيته التي كانت في موقع الصدارة بعطائها العلمي والأخلاقي والعملي، والتي بنت الحضارة الوحيدة الأكثر إنسانية لأنها لم تقم على أساس عرقي بل على أساس العقيدة الصحيحة والتي دامت لعشرات القرون؛ ما مدى مستوى الحرية للإنسان الذي تتطلبه بناء الحضارة؟

إن التفات الأمة إلى نفسها وانتباهها لما يعتريها من وهن في مطلع القرن العشرين لهي ظاهرة صحية تبشر بمستقبل معافاتها، فقد أدركت أنها تعيش زمن التيه والبحث عن سبيل النجاة؛ ممثلة في حركات الإصلاح النهضوي، لقد حاولت تلك الحركات تحسس طريق النجاة، وانتشال الأمة من وحل الانحطاط (لكنها لم تستطع تحقيق ... النهضة كونها... أهملت الإنسان كمسألة... وعُدَّ مجرد حد في قضية أكبر منه) (11)

وأحسب أن ما ذهب إليه الأستاذ بوعرفة يتضمن جانبا من معالجة الأمر عندما ضرب لنا مثلا حيا وخالدا في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم عندما بدأ رأسا بتربية الإنسان وانتشاله من الجاهلية الجهلاء، لأن الإنسان هو محور الكون كما أراه و أساس كل إصلاح و العنصر الحيوي في أي عمل حضاري، ويلتقي كل من المفكر مالك بن نبي والأستاذ بوعرفة والمفكر الإسلامي الشهير محمد قطب، في ذلك حين فالأمة تعيش حالة فوضى بدل انتظام وفرقة بدل تجمع وخصام بدل ألفة وعفوية بدل انضباط وقصر نفس يشتعل ويخبر سريعا وذلك لافتقادها قيادة مؤمنة عالمة حرة صادقة راشدة ومثالا يقتدى به ، وأسباب أخرى سنتطرق إليها لاحقا؛ لأن تشخيص الداء هو السبيل إلى إيجاد الدواء الناجع لهذا المرض العضال ،ويقيني أن جوهر الدواء لهذه الأمة هو) إنشاء النفوس نشأة جديدة منتظمة طويلة النفس على أساس العقيدة الصحيحة(12). كما ذهب إليه كثير من المفكرين ذوي البصيرة المتنورة بالهدي الرباني .

كانت هذه مقدمة لابد منها للولوج إلى جوهر الموضوع؛ يعد الإنسان، هذا المخلوق الآدمي أرقى ما خلق الله تعالى من المخلوقات الموجودة على الأرض قاطبة شكلا وهيئة وصورة ﴿قَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (13) .

(وقوله جل من قائل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (14)، مما استحق الاستخلاف في الأرض بما أمده الله من جملة من القدرات تفرد بها عن غيره من المخلوقات، ومن أخص خصائصه هذه القدرة المذهلة على الإدراك التي أهلتها لأن يختار ويرفض ويقبل ويكتشف ويبدع ويقوم ويجابه مصاعب الحياة بكل ثقلها وبثقة تامة (خلق الإنسان في كبد) ويطور باستمرار الوسائل التي من شأنها تيسير حياته ورفاهيته ، لكن مخيراً بقدر ما هو مدرك للطاقة الكاملة لوعيه الصافي، لأن هناك حالات تتتاب بعض الأفراد فتعطل طاقة عقله الذي بها يعي ويدرك ويتدبر، والإنسان في مفهومنا وفق الهدي

الرباني مكون من الجسد و الروح والتقاؤهما يعطي لنا نفسا، بكل أبعادها العقلية والقلبية والبدنية. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (15). عندما بث فيه الروح كنه الحياة عاد خلقا آخر، لأن كل العمليات النفسية من تفكير و إدراك ووعي وإحساس باللذة والألم وكل ما يجري في ساحة الشعور وما يصدر منا من أفعال وسلوكيات إنما مصدرها في اعتقادي الخاص هو الروح لأنها هي الواعية والمدركة والمهيمنة على الجسد، وإنما جعل الجسد سكنا لها فإذا تردى بفعل الأمراض والصدمات أو وترهل ولم يعد صالحا لإقامتها فيه غادرته، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (16). فالقرآن الكريم أجلى أمر الإنسان و مبدأ

خلقه والغاية من ذلك ، فهو مكرم ومخير عن بقية العوالم وبإمكانه الولوج إلى عالم الخلود والنعيم الأبدي إلا إذا أبى؛ ومالك بن نبي أعرض عن تعريف الإنسان لأنه يرى في ذلك قتل له، فهو أجلى من أن يُعرَّف ،حتى وإن قال أنه حيوان متدين ،فهذه عبارة فلسفية تُجلى بإمعان التأمل فيها ومقصد لفظ الحيوانية التي تضمنته العبارة، لكنه نظر إليه بواقع ما يتطلبه حال المسلمين وكيف نجعل منه رجلا مثمرا وطرفا فاعلا في الانبعاث الحضاري للأمة إذ يرى أن (مشكلتنا الحقيقية تكمن في الإنسان والتراب والوقت)<sup>(17)</sup> وهذا لا يمنعنا من محاولة الوقوف على بعض الرؤى المعرفة للإنسان؛ ففي الأصل اللغوي أن الإنسان هو إنسيان، وللکلمة معنيان عند قدامى العرب: على وزن أفعلان ، ومعناها النسيان ويُعلل ذلك لنسيان آدم لما عُهِدَ إليه ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾<sup>(18)</sup>. أما المعنى

الثاني فمن الأئس ووزنه فعليان، أما عند المناطقة فهو جنس قريب وعند البعض نوع (ESPECE)

ومفهوم لإنسان يشمل الرجل والمرأة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(19)</sup>. وعند البيولوجيين فهو كائن حي... يتغذى ويحس ويتحرك ويتناسل، أي تجعل الإنسان كحيوان وفق نظرية النشوء والارتقاء باعتباره منحدرًا من القرد ،وهذه النظرية تبين أنها عارية عن الصحة،خصوصا عندما ظهرت النظرية المعاصرة مفادها أن الكون أوجدته قوة خفية فائقة الذكاء والقدرة، وهذه النظرية تدرس الآن في الولايات المتحدة جنبا إلى جنب مع النظرية الداروينية ؛ وقد نشأ عن هذه النظرة فلسفات حطت من قيمة الإنسان و إنسانيته وتخبطت الأفكار في هذا الشأن كالذي يتخبطه الشيطان من المس،فهذا ابن سينا يعرفه بأنه( ليس الإنسان إنسانا بأنه حيوان، أو مائت، أو أي شيء بل بأنه مع حيوانيته ناطق )<sup>(20)</sup>. يمكن أن نقول ( أن الإنسان كائن حي عاقل مريد مدني بالطبع ومتأنس بالقوة ، ومتعال بالقلب والعقل واليد،والمعنى الأخير أقرب إلى المعنى الذي رسمه

مالك بن نبي إذ اعتبره مجموع الأنشطة المتكاملة<sup>(21)</sup>. ومالك بن نبي ينطلق في مفهومه للإنسان من مرجعيته الدينية الحقة ( مفهوم الإنسان عنده يرتبط بصفة الشاهدية، والإنسان الشاهد)<sup>(22)</sup>.. وربما يقصد بالإنسان الشاهد بإيجابيته وخيريته وفعاليته؛ لقد تناول مالك بن نبي الإنسان كونه صانعا للحضارة ومنجزها، ف ( إن المشكلة الأم في حياة الإنسان والأمة عنده هي مشكلة الحضارة، وأن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته )<sup>(23)</sup>.... "وشروط حلّ هذه المشكلة هو الارتقاء بالفكر إلى درجة الوقائع الإنسانية ذات الطابع العالمي؛ للإمام بشروط النهضة والتحضّر، وأسباب التخلف والانهيّار<sup>(24)</sup> ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحلّ مشكلته ما لم يرتفع بفكره إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمّق في فهم العوامل التي تبني الحضارة أوتهدمها"<sup>(25)</sup> الحال الراهن للأمة:

يتسم الحال الراهن للأمة بالتجزئة، والضياع، والتفكك، والإحباط، وقد تجلّت تداعيات هذا الوضع المتردّي بظاهرة التخلف الهيكلي، والجهل المطبق، والمرض المزمن؛ حيث تباطأ النمو الاقتصادي، واشتد الفقر، وتفشت الأمية في أوساط الجيل، وانتشرت البطالة بين الناس، وسادت الخرافة والأساطير في تفسير ظواهر الحياة الكونية منها والاجتماعية، مما عطل تفجير طاقات الأمة

الكامنة منها والمرئية، بغياب تنمية مستدامة شاملة في الأقطار العربية والإسلامية؛ مما نتج عنه تخلف مركّب، في كل جوانب الحياة، العلمية منها، والاقتصادية، والصناعية، والاجتماعية على حد سواء، كما تخلفت أساليب الإدارة، ونظم الحكم، بطريقة عمقت التبعية السياسية، والاقتصادية، والتكنولوجية، وقيدت حرية الإرادة العربية الإسلامية إلى حدّ بعيد، في وقت تتسارع فيه إيقاعات التطور في الغرب والشرق، وبعض أقطار العالم الثالث، بوتائر متصاعدة، الأمر الذي فاقم فجوة التطور بين الأقطار العربية والدول الصناعية بشكل لافت للنظر، وأنتج بالمحصلة سلوكاً ذليلاً تابعاً للغرب الاستعماري، تجسد بظاهرة انبهار مُبلّسة بمدنيته المادية، وتصاغر متقزم، أمام ثقافته البراغماتية، القائمة على المنفعة، والكسب المادي، وتعظيم الأرباح، وتحقيق الرفاهية الزائفة.

### قراءة مختصرة في تاريخ الإسلام وتأسيس حضارته الإنسانية الخالدة:

لنشأة أي مجتمع متحضر لا بد له من فكرة يتم التجمع على أساسها لتحقيق الاستقرار واستتباب الأمن ومن ثم الانطلاق في بناء الحضارة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان، وهذا ما قام به خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم بداية الأمر؛ لقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة قومه إلى الله بكل عزم وإصرار لانتشالهم من الجاهلية وقيمها الضالة التي تجذرت في نفوسهم قرونا طوالا، ولأق من المصائب والشدائد والأهوال من أجل ذلك ما لا تحتمله الجبال؛ ومضى بيقين صادق بوعد ربه وثبات في تجميعهم على كلمة التوحيد وطرح كل ما هو جاهلي، فتحقق له ذلك بعناية الله وبعونته تعالى، فتم تجميع قومه على كلمة التوحيد وتحقيق لهم الأمن والاستقرار بعد شق طريق ملونة بالدماء وبالدموع؛ لتواصل الطريق بعدهم الأجيال اتلت رسول الله وصحابته الكرام، فوجدوا الأرضية مهيأة فانطلقوا ينهلون من علوم الفرس والروم والإغريق وترجموا علومهم وأخذوا منها بعزة ما يلائم العقيدة الإسلامية، بعد أن أخضعوا هذه العلوم لمعيار العقيدة، ولذلك لم يترجموا من التراث الإغريقي الأساطير باعتبارها مرتبطة بعقائد وثنية، وقد استفادوا كثيرا من ترجمة تلك العلوم في مختلف جوانب الحياة التنظيمية منها والعلمية، وأضافوا وصححو وطوروا واكتشفوا وابتكروا ثم تجاوزوا تلك العلوم؛ ليقفروا قفزة علمية لم تشهد لها الإنسانية مثيلا من قبل، فكان العالم منهم يكاد أن يكون موسوعة بمفرده ملما بجميع علوم عصره

سواء كانت شرعية أو طبية أو فلكية أو فيزيائية أو كيميائية بغير تعارض ولا تناقض بين تلك العلوم (وكانت المعاهد العلمية في الأندلس وغيرها - تلك التي تعلمت فيها أوروبا حين بدأت تخرج من قرونها المظلمة - تعلم طلابها كل فروع العلم وألوانه بغير تفريق، وكانت العلوم "الدنيوية" من المعالم البارزة في تلك المعاهد إلى جانب العلوم الشرعية، ومن هناك تعلمت أوروبا المنهج التجريبي في البحث العلمي وترجمت ما كتبه المسلمون في الطب والفلك والفيزياء والكيمياء والرياضيات والبصريات لتنتلذ عليه في بدء نهضتها الحديثة)<sup>(26)</sup>. واستحقت أن تسمى الحضارة العربية الإسلامية بهذا الاسم لأنها لم تكن حضارة عرجاء بلا قيم ولا أخلاق، بل كانت حضارة ذات قيم عليا ومبادئ سامية تستوعب كل تفاصيل الحياة البشرية وفق المنهج الرباني، عكس أغلب الحضارات الأخرى وفي مقدمتها الحضارة المادية المعاصرة (التي تعرت من القيم وتكرت لها إلا القيم النفعية البحتة، لذلك نسمي حضارتها حضارة هابطة في مقابل الحضارة الرفيعة المتمثلة في

ذلك الجيل الفريد حضارة القيم العليا والمبادئ السامية... من هنا نقول وبكل اطمئنان إن الإسلام هو الحضارة (27). إذا ما عاد المسلمون إلى تَشْرَبِهِ وترجموه أقوالا وأفعالا بكل أبعاده القلبية والعقلية والبدنية فيتحول إلى واقع في حياة الناس، لأن حقيقة الإسلام الآن هو إسلام بلا إسلام، فالأمة تعيش ردة قيم ومسوخ فكري كنتيجة للتخلف العقيدي الذي أدى غلى تخلف سلوكي وآل إلى تخلف حضاري في كل الميادين ، ويرجع ذلك لأسباب داخلية تاريخية وأخرى خارجية أدت بالأمة إلى الانحدار والخروج من دائرة الحضارة.

### أسباب التراجع:

يعود تراجع الأمة العربية والإسلامية عن الصدارة في العالم لعوامل داخلية وأخرى خارجية فأما الداخلية منها: فانتشار عدة مذاهب فكرية ذات مرجعية عقلانية صرفة شوهت حقيقة الإسلام وأضررت به وأخطرها الفكر الإرجائي الذي أخرج العمل من مسمى الإيمان إذ لا يضر مع الإيمان شيء وكان ذلك كنتيجة لترجمة الفلسفة الإغريقية، ورغم ما في تلك الفلسفة من إشراقات وإضاءات إلا أن أسوأ ما في ذلك الفكر عقلانيته التجريدية التي تحول كل شيء إلى فكرة مجردة باردة لا حياة فيها ولا حركة، فضلا عن تضخيم دور العقل حتى يصبح هو الحكم الأخير في كل أمر من الأمور (28) إذ ينطلق نشاطه من وإلى الذهن فهو وحده عاجز عن تغيير عالم الواقع بدون

الهداية الحقة، كما أنه لا يؤثر على الوجدان ويحركه ويحوّله إلى سلوك حي محي نافع ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (29) وقوله جل وعلا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (30). وإلى جانب فكر المرجئة الذي بدأ شيئا فشيئا في تعطيل حركة الأمة والتقلت من الواجبات ، عامل الاستبداد السياسي الذي انصرف عن شؤون الأمة إلى تأمين المصالح الخاصة للحاكم وأعوانه، وظهر فرق بفكر خاص مصبوغ بصبغة دينية دخيلة عن الإسلام فصل الدنيا عن الآخرة وهوّن من شأنها وأفرز سلوكا انزوائيا انطوائيا صب في تراجع الأمة فتغير حال المسلمين كنتيجة لهذا الانحراف فامتأ واقع المسلمين بالمعاصي والبدع والانحرافات و الفرقة والشتات، وأهملت عمارة الأرض حين أهملت الدنيا من أجل الآخرة فخيم على الناس الفقر والجهل والمرض والتخلف الحضاري والمادي والعلمي والعقلي، الأمر الذي أدى إلى ترهلها ووهنها فتعرضت لغزو الأمم الناهضة حديثا وأصبحت الأمة العظيمة وحضارتها أثرا بعد عين. ناهيك عن الغزو الفكري بما فيه مناهج التعليم المستوردة، التي تهدف

إلى التغريب الفكري وصرف الشباب المسلم عن قيم دينه، وتمييعه وإفساد أخلاقه وتسفيه أحلامه بالترويج للثقافة الإباحية والعري الأخلاقي؛ إن تخلفنا كامن في التخلف العقيدي الذي أدى إلى تخلف سلوكي وبالمحصلة تخلف حضاري، والتقدم العقيدي يؤدي إلى تقدم سلوكي وبالتالي تقدم حضاري.

### الأسباب الخارجية والحالة الراهنة :

وأخطرها ماجاء في مؤتمر الدول الأوربية السبع المنعقد سنة 1907م بقيادة رئيس وزراء بريطانيا كامبل وقتذاك ولم تحضره ألمانيا، عندما اتفقوا على تعطيل نهضة الأمة من المحيط إلى الخليج، لأنها تبقى هي سر قوتهم بخيراتها وثرواتها وموقعها الإستراتيجي الذي يطل على ثلاث قارات ويتحكم في التجارة العالمية عبر عدة مضائق بحرية، ومكمن الخطر عليهم- كما جاء في تقريرهم - يتمثل في نهضة هذه الأمة لأنها تتوفر على كل مقومات النهضة من وحدة اللغة و الدين و التاريخ والجغرافيا والثروات التي نحتاجها في التصنيع والاقتصاد والبناء للبقاء في الريادة؛ وقد تقرر زرع جسم غريب في المنطقة موال لهم يحقق فصل المشرق العربي عن مغربه، وضرب استقراره وتعطيل نهضة الأمة، مقابل حمايته وإمداده بكل ما يحتاج، وهذا الجسم هو إسرائيل.

### إخراج الأمة من العطالة كما يراها مالك بن نبي:

ليس المطلوب والمبتغى- وفق رؤية بن نبي- تبرير التخلف والانحطاط كما يظهر في الخطاب الإصلاحية وإنما المطلوب هو وجود السبيل الناجع للخروج من حالة العطالة والسكون إلى حالة الحركة والانبعاث؛ يقول مالك بن نبي في معرض قوله عن ذلك (وأشخاص الجيل الذي عاصرته، ممن قرؤوا كتاب "الإفلاس الأخلاقي للسياسة الغربية في المشرق" لمؤلفه التركي أحمد رضا أو كتابات شكيب أرسلان كانوا في الحقيقة يقرؤون أعمالا للدفاع والتبرير وليس أعمالا للبناء والتوجيه)<sup>(31)</sup>. فلا بد من إعادة تأهيل الفرد المسلم وترميم شخصيته وإعادته إلى حاضرة التاريخ وذلك بتفعيل قدراته وإعادة صياغته وفق ما يتطلبه العصر دون الانسلاخ من أصالته وهويته وانتمائته، فمهمّة التجديد الحضاري لا تتحصّر في البحث عن التجديد والسعي وراءه، بل في إحياء القديم وبعثه وتكييفه مع المستجدّات، فالتجديد الحضاري بمعانيه المحدّدة سابقاً يمثل جوهراً الحضارة ومحركها، وجوهر التاريخ ومحركه.

إن تباين الخطاب في حركة الإصلاح الحديثة التي عرفها العالم الإسلامي والعربي والذي أخذ ألوانا شتى سواء كان سياسيا ثوريا أو فقهيا أو صوفيا انزوائيا أفصح عن مدى التخبط الفكري وإخفاقه في رؤيته لطريق لخلاص، وربما مثل في بعض توجهاته عائقا أمام مشروع إحياء الإنسان من جديد بعيدا عن التهيج العاطفي والعظمة الموهومة والتغني بالأمجاد مما أدى إلى إهمال الإنسان الحاضر، فإن الفتى من يقول ها أنذا، فمخاطبة القلب لا تكفي لإحداث الانقلاب في النفوس فلا بد من الاهتمام بالإنسان ككل متكامل وفق النظرة الإسلامية الصحيحة في جانبه الوجداني والمعرفي والبدني ؛ غير أن أغلب تلك الأصوات وعلى سطحيتها الفكرية، استطاعت أن تحدث صعقة كهربائية أعادت أمل الحياة في جسم كان يحتضر ويبشر بعودة الغائب .

إن أعمال بن نبي الفكرية تعكس حرص الرجل على ضرورة الاهتمام بالإنسان وتأسيس فلسفة خاصة به تدرسه وترشده وتوجهه نحو الأفضل ،عن طريقها نعرف الأمراض التي تصيبه في مسيرته الحضارية وبالتالي يمكن على غرارها أن نخطط وفق الاستشراف الذي أصبح علما هاما في العالم<sup>(32)</sup>.

فكيف يمكن أن نعيد لحضارتنا العربية الإسلامية وهجها من جديد باعتبار أن مرتكزا القاعدي الأساسي يملك كل مقومات الصمود وطول النفس والانبعاث من جديد والمقدرة على استيعاب لكل ما هو إيجابي في هذه الحضارة المعاصرة بل والمساهمة في المزيد من تطويرها وتقويمها بما يلئم صالح الإنسانية، وللوصول إلى المبتغى لا بد من توفر عدة عوامل متماسكة يحدثها المجهود الإنساني في نسيج منسجم قوي ومتماسك يؤول إلى حياة جديدة على مستوى الفكر والسلوك والحياة ويتناغم مع (سنن الآفاق والأنفس والهداية؛ من أجل الرقي المعرفي والروحي والسلوكي والعُمُراني في عالم الشهادة)<sup>(33)</sup>.

ولكم أصاب الدكتور الجيلالي بوبكر عندما قال: (أي رُقي أو تقدُّم لأي شعبٍ ما لم يعرف الحضارة، أو متحضرٌ خرج من الحضارة - لا يجري خارج التجديد الحضاري، الذي يكون قبل الحضارة أو خلالها وبعدها، فهو يعني التغيير الذي يطرأ على الإنسان الذي لم يعرف الحضارة، فيلهمه الشروط الكافية لبناء الحضارة)<sup>(34)</sup>. لأنه يذكرني بقول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لا يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية) ما أبلغها من حكمة فإنها تفصح عن انقلاب كامل وميلاد جديد في حياة الفاروق وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أحدثه الإسلام من

تغيير مس جوهر حياتهم، عاشوه بكل جوارحهم وتغلغل في كيانههم وجسده عقيدة وأخلاقا وعلماء وعملا. فكانما خُلقوا خلقا آخر جديدا.

يحدد مالك بن نبي وجوب توفر "العدة الدائمة" في كتابه "شروط النهضة" ممثلة في عناصر خمسة لإحداث التجديد أو الانبعاث الحضاري وارتقائه وهي: العامل الروحي، التغيير، البناء لا التكديس، والتوجيه. وهذه العدة الدائمة ممثلة في الإنسان والتراب والوقت، ( وهكذا لا يتاح لحضارة في بدئها رأس مال، إلا ذلك الرجل البسيط الذي تحرك، والتراب الذي يمدّه بقوته الزهيد حتى يصل إلى هدفه، والوقت اللازم لوصوله)<sup>(35)</sup>. ذلك الرجل البسيط وبوعيه وكدحه وكفاحه المستميت واستثماره لعامل الزمن استطاع أن يجعل من التراب قصورا ومدنا ويستخرج منه كنوزا شتى مكنونة وأحجارا كريمة من ماس وذهب وفضة و لازورد لزيّنته وترفه وتنعمة ويرتفع من مستوى الضرورة ليصل إلى درجة الجمال. وما هذه الوسائل المتطورة من مركبات برا وبحرا وجوا، ووسائل اتصال مسموعة ومرئية وسلكية ولا سلكية وتقنيات شتى من وسائل للطب وغيرها إلا منجزات لهذه الحضارة، لكن ذلك لا يجعلنا نتفائل كثيرا فالآثار الجانبية لهذه

الحضارة بدأت بالفعل تتخرق قوة الإنسان خصوصا تلك الأسلحة ذات الدمار الشامل التي تهدد وجوده وبيئته ومصادر عيشه بل تجعل الأرض وما فيها معرضة للدمار. إن العناصر التي حددها مالك بن نبي لإنشاء أو نشأة الحضارة وعلى رأسها الإنسان باعتباره هو الفاعل والمؤثر والمغير بحكم استخلافه في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ت﴾<sup>(36)</sup>. وبقيّة العناصر ممثلة في التراب والوقت، فلا يمكن للإنسان أن يعيش خارج نطاق المكان والزمان إلا في الأحلام، فالأرض مسكنه ومكسب رزقه والزمن دورة حياته، فيه يتحرك وفي مجاله تجري الأحداث الإنسانية ومسيرتها عبر التاريخ وإنشاء المجتمعات المكونة للحضارات، كل ذلك جرى ويجري داخل نطاق الزمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها كما؛ تتحرك وتعيش ضمنه الأحياء وتجري فيه الأحداث؛ ويرى مالك بن نبي أن حل مشكلة الحضارة مرتبط بمشكلات ثلاث يجب النظر فيها وحلها، وتلك المشكلات هي:

- 1- مشكلة الإنسان وتحديد الشروط لانسجامه مع سير التاريخ
- 2- مشكلة التراب وشروط استغلاله في العملية الاجتماعية
- 3- مشكلة الوقت وبث معناه في روح المجتمع ونفسية الفرد<sup>(37)</sup>.

### عنصر الدين:

الإنسان متدين بفطرته وكائن يميل إلى الحياة الاجتماعية ليستمر في العيش بسلام ويشعر أن هناك مجتمع منظم يحميه بمقتضى شعور الانتماء إليه، ويقوم على أساس من العقيدة، التي ينتمي إليها ويؤمن بمبادئها هذا المجتمع أو ذاك ، العقيدة تلك الأرضية التي تنبثق منها مجموعة من القيم الأخلاقية والأعراف والأحكام والقوانين التي تضبط مجتمع ما وتضمن أمن كل فرد فيه وتحفظ له كرامته وحقوقه، وتنشئ العلاقات والوشائج التي تربط بين أفرادها، وتعزز التعاون والتآلف والانسجام فينشأ المجتمع متماسكا بوجود العقيدة الجامعة والمنظمة لعلاقات الأفراد والمجتمع وتشعر الفرد بالمسؤولية اتجاه مجتمعه فتحفزه للقيام بواجباته اتجاهه ويترتب عن ذلك مستحقات على المجتمع لصالح الفرد فيتفاعل الفرد بالمجتمع على أساس القيم التي تقوم عليها العقيدة الموحدة والمحفزة إلى النهوض بالرسالة والوظيفة داخل المجتمع، فيبدأ التاريخ وتنتقل الحضارة، فالتاريخ يصنعه الإنسان، والحضارة مُنجز إنساني أنجزه بجهد المثمر

عبر التاريخ بدافع من العقيدة. وهذا ما فعلته العقيدة الإسلامية في نفوس الرعين الأول ومن تلاه إذ أمدته بطاقة روحية ونور البصيرة المستمدة من المشكاة الربانية فتغير واقعهم وسمت أرواحهم وأنت إليهم الدنيا وهي راغمة؛ فطرحوها من قلوبهم وأمسكوها بأيديهم .

إن كل نشأة جديدة تكون أنشط وأكثر حيوية وأكثر فاعلية من الأجيال التالية... (ف)النفوس التي تبدأ هذ عهدا جديدا أو تشهد إنشاء جديدا تكون أكثر حيوية وأكثر فاعلية من غيرها من النفوس ويمكن تفسير ذلك من ناحيتين ،الأولى أن النشأة الجديدة -خاصة على النحو الذي صنعه الإسلام - تعيد تركيب النفوس على صورة جديدة فتصبح نفوسا جديدة بالفعل ،مذخورة الطاقة حادة الفاعلية ...ويعبر عن عظم النقلة التي انتقلوها من الجاهلية إلى الإسلام ،كما قال عمر رضي الله عنه : " لا يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية"<sup>(38)</sup>.

ولذلك يرى مالك بن - وقد أصاب إلى حدما في ذلك - أن الحضارة تنشأ عن الفكرة الدينية ومبادئها الأخلاقية حين تتوحد العناصر الثلاثة المعروفة عنده ( فهي تتدخل إما بطريقة مباشرة ، وإما بواسطة بديلاتها اللادينية نفسها في التركيبة المتألفة لحضارة ما وفي تشكيل إرادتها)<sup>(38)</sup>. فالحضارة وفق ما يراه مالك بن نبي تمر بمراحل ثلاثة هي النهضة والازدهار ثم الأفول، ويبدو أن مالك بن نبي قد تأثر بالفكر الخلدوني في مراحل نشأة الحضارة وأفولها.

" أمّا الطور الأول، فهو رُوحِي تنتظم وتتضبط فيه الغرائز تحت سلطان الروح بتوجيه من الفكرة الدينيّة، ويتطوّر المجتمع الذي أنجبته الفكرة الدينيّة في المرحلة الثانية بفعل اكتمال روابطه الاجتماعيّة، ويمدّى انتشار الفكرة الدينيّة في العالم، فتبرز المشاكل وتكثر المطالب، وتكون النتيجة التالية: فإنّما أن يكون هناك تطابق "مع النهضة كما نراها بالنسبة إلى الدورة الأوربيّة، وإنّما أن يتطابق مع استيلاء الأمويين على الحكم كما هو شأن الدورة الإسلاميّة" وفي الحالتين تكون السلطة في يد العقل الذي لا يملك سلطة النفوذ على الغرائز التي تسترجع نفوذها بفقدان الروح لنفوذها عليها، فتظهر بوادر الانهيار والأفول)<sup>(39)</sup>.

### التغيير:

يؤدي التغيير الذي يجري على المستوى الاجتماعي إلى التجديد الحضاري قبل وبعد وخلال إنجاز الحضارة المفتوحة على مزيد من الارتقاء أو الانحدار، وفق عوامل يفرزها المجتمع نفسه سلبا أو إيجابا ،ومالك بن نبي يرى عامل التغيير الذي يقوم به أي مجتمع كانتفاضة تعبر عن رفض لواقعه المتردي بهدف إعادة بناء وفق تطلعات مرتبطة بكل ما هو أنفع و أفضل، ومبدأ التغيير لنهضة الأمم ذكره الله في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(40)</sup>. فالتغيير عند مالك بن نبي أساس لكل حركة تغيير عبر التاريخ نحو التقدم والازدهار في كل مناحي الحياة الإنسانية ؛ و هذا ما هو بحاجة إليه العالم الإسلامي الذي يعاني من التخلف في كل ميادين الحياة فالعمل بمبدأ الآية السابقة هي التي هي التي تحقق القفزة النوعية لأمة الإسلام ، لأنها تعيش ردة قيم عن هذا الدين القويم، إذ عاد فيه الفرد المسلم أشبه بقطعة أنبوب بالية ملقاة على حافة التاريخ تصفر فيها الريح؛ لأنه مسلم بلا إسلام وبلا أخلاق وبلا علم ولا عمل لانسلاخه عن قيم دينه، لأسباب ذكرت بعضا سابقا ، والواقع والتاريخ أثبت أن أي مجتمع لا يستطيع النهوض والتحضر إلا بالاستناد إلى مقوماته الشخصية كاللغة والدين ،وانفتاحه على الآخر ليأخذ

منه ما يناسبه يُعد عاملاً يسرع من نهضته ليأخذ مكانته بين الأمم ،فاعمل الدين الذي يحدث التغيير داخل النفس وبمقتضاه يتغير الظاهر (فهذه الحقيقة علمية يجب أن نتصورها كقانون إنساني وضعه الله - عز وجل - في القرآن كسنة من سنن الله التي تسيّر عليها حياة البشر (41).

### البناء لا التكديس:

يرجع مالك بن نبي الحال المزرية التي نعيشها نتيجة للتخلف الحضاري ، وغياب الإنسان المنتج ، فالاستيراد لحاجياتنا وتكديسها وروح الاتكال والاعتماد على كل ما هو جاهز وآت من الخارج يزيد من شللنا الحضاري ويدفع بنا نحو الخلف ، فلا خلاص إلا بامتلاك حاسة الوعي الحضاري و استثمار عامل الزمن في إعادة بناء أنفسنا (فالقضية إذا ليست قضية فقر، وإنما هي أمر يتعلق بأساس مشكلاتنا، فعلى أن نُفكر في جذور المشكلات، ونذكر أن القضية قضية حضارة، وما الفقر والغنى، ولا الجهل ولا المرض، إلا أعراض لتلك

المشكلة الأساسية) (42).

الجوهر الأساس الذي تقوم عليه النهضة هو العقيدة ولكي لا تكن حضارة هابطة أو عرجاء، لا بد لها من الارتكاز على العقيدة الصحيحة، قال تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) (43). فالدين يدفع الفرد لكي يتحرك ليبني ويعمل ويتعلم ويحيا مع التاريخ لا في التاريخ (فالبناء وحده هو الذي يأتي بالحضارة لا التكديس، ولنا في أمم معاصرة أسوأ حسنة، إن علينا أن نذكر بأن تكديس منتجات الحضارة الغربية لا يأتي بالحضارة) (44). ولكن "الحضارة هي التي تلد منتجاتها، وسيكون من السخف والسخرية حتماً أن نعكس هذه القاعدة حين نريد أن نصنع الحضارة من منتجاتها) (45).

### التوجيه:

من شروط النهضة التي يحددها مالك بن نبي عامل التوجيه في مجال الأخلاق والاقتصاد بتحريك رأس المال ضمن حركة التغيير عبر مسار التاريخ الإنساني يتجسد ضمن مجتمع تربطه شبكة من العلاقات تفرضها الضرورة الاجتماعية المبنية على تكامل وتبادل المصالح وتستمد

طاقاتها من فكرة المعتقد الديني ، وما التاريخ إلا مسيرة البشرية وأحداثها عبر الزمن ولا يخرج عن نطاق عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء تعمل بتوافق وانسجام وخاضعة لما يسطره لها (عالم الأفكار تنفذ بوسائل من عالم الأشياء من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص)<sup>(46)</sup>. فالتجديد في الحضارة من حيث تكوينها، أو تطورها، أو استمرارها، أو إصلاح أوضاعها - يقتضي عُدَّة دائمة، وتغييراً يبدأ من داخل الفرد ثم يتَّجه إلى الخارج، فيحصل البناء من خلال توجيه وتخطيط يربط المبدأ بالغاية، ويستغلُّ جميع الوسائل والمناهج لخدمة الإنسان، ولتحقيق أغراضه القريبة والبعيدة<sup>(47)</sup>.

الهوامش:

- (1) هود: 61
- (2) المؤمنون: 115
- (3) محمد قطب- واقعنا المعاصر- مكتبة رحاب- الجزائر - ص 101
- (4) المصدر نفسه- ص 100-
- (5) البقرة: 30
- (6) الخج: 40
- (7) الروم: 41
- (8) النساء: 76
- (9) الشيخ عاطف عبدالمعز الفيومي - واقع الأمة الإسلامية المعاصر - موقع الألوكة  
www.alukah.net
- (10) عبد القادر بوعرفة- الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي- دار الغرب للنشر والتوزيع- ص 4
- (11) محمد قطب- واقعنا المعاصر- ص 497
- (12) التين: 4
- (13) الإسراء: 70
- (14) المؤمنون: 12-14
- (15) الحج: 5
- (16) عبد القادر بوعرفة - الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي - ص 4
- (17) طه: 115

- (18) يالحجرات:13.
- (19) عبد القادر بوعرفة- الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي - ص5
- (20) المرجع السابق- ص 6
- (21) مالك بن نبي- شروط النهضة- ص 23
- (22) مالك بن نبي- شروط النهضة- ص 23
- (23) المرجع السابق- ص23
- (24) محمد قطب- واقعنا المعاصر- ص 174-175
- (25) المصدر السابق- ص 102
- (26) يُنظر - محمد قطب-مذاهب فكرية معاصرة-دار الشروق - القاهرة - ط 81414 هـ -1993م- ص 500
- (27) الملك:2
- (28) الأنفال: 24
- (29) بن نبي مالك- القضايا الكبرى - دار الفكر - الجزائر - ط1-1991م- ص48
- (30) عبد القادر بوعرفة-الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي- ص 20
- (31) جيلالي بوبكر - شروط التجديد الحضاري في فكر مالك بن نبي- موقع الألوكة
- (32) الطيب برغوث- موقع المسألة الثقافية من إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي - ص 10
- (33)الجيلالي بوبكر- شروط التجديد الحضاري في فكر مالك بن نبي ( 33)
- (34) مالك بن نبي - شروط النهضة- 89
- (35) البقرة: 30
- (36) مالك بن نبي - تأملات - ص 199

(37) محمد قطب-واقعا المعاصر- ص 25

(38) مالك بن نبي: آفاق جزائرية، (ص: 83).

(39) جيلالي بوبكر- شروط التجديد الحضاري في فكر مالك بن نبي - موقع الألوكة

www.alukah.net

(40) الرعد: 11

(41) مالك بن نبي - دور المسلم في الثلث الأخير من القرن 20، (ص: 58).

(42) مالك بن نبي: تأملات، (ص: 166).

(43) إن الدين عند الله الإسلام

(44) المرجع السابق- ص 167

(45) مالك بن نبي- شروط النهضة- ص 1

(46) مالك بن نبي- ميلاد مجتمع- ص 3- 24

(47) جيلالي بوبكر- شروط التجديد الحضاري في فكر مالك بن نبي - موقع الألوكة

www.alukah.net